مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد41 العدد(1) – 2025: 1-14

Damascus University Journal for engineering sciences
Vo 41 number (1) -2025: 1-14

رمزية القصص الإفريقية في الأعمال الفنية المطبوعة عند الفنان جون مفانجيجو

ناديا أحمد نعيم*[1] كندة معروف[2]

*[1]. طالبة الماجستير، قسم الغرافيك– كلية الفنون الجميلة– جامعة دمشق.
nadia.naim820@gmail.com

[2]. دكتورة في قسم الغرافيك– كلية الفنون الجميلة– جامعة دمشق.
KindaMarouf@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يُعدّ الفن الإفريقي واحداً من أهم المكونات الأساسية للقيم الحضارية الإفريقية وقد تعرض هذا الفن لحملات عنصرية عالمية مغرضة كان هدفها طمس معالم هذا الفن وتشويهه، لكن رغم شراسة هذه الحملات استطاع إثبات وجوده على الساحة العالمية من خلال الحفاظ على تقاليده وأصالته. وتكمن أهمية البحث في تأكيده على خصوصية الفن الإفريقي من خلال فلسفته ورموزه الفريدة، حيث بدأ البحث بتسليط الضوء على إحدى الأساليب الفنية الإفريقية العائدة للفنان جون مفانجيجو والتي قدمها خلال فترة حياته في إفريقيا، ومع توسع البحث لاحقاً تم إظهار الخصائص والسمات الفنية التي استند إليها الفنان في تنفيذ أسلوبه الفطري ورسمه الشخوص بملامح ساذجة. كما استعرض البحث بعض محاولات الفنان الرامية لتأكيد أصالة هذا الفن وتفرده، من خلال إيضاح بعض نقاط التشابه والاختلاف من حيث المواضيع والأساليب والأفكار بين الفنان جون مفانجيجو ومعاصريه من الأفارقة مثل: باولوس مكيونو، ألبرت ندلوفو، كايفس نكسمالو.

الكلمات المفتاحية: الفن الإفريقي – الأعمال المطبوعة – السرد القصصي.

تاريخ الايداع: 2022/6/1
تاريخ القبول: 2023/2/21

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

The symbolism of African narrative in the printmaking by artist John Muafangejo

Nadia Ahmad Naim*[1] Kinda Marouf[2]

*1. Master's student in the Department of Graphic, Faculty of Fine Arts, Damascus University. naim820@gmail.com

[2]. Dr in Faculty of Fine Arts – Department of Graphic – Damascus University. KindaMarouf@damascusuniversity.edu.sy

Received: 1/6/2022
Accepted: 21/2/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:

African art is one of the most fundamental components of African cultural values that has been subjected to tendentious global racism campaigns aimed at obliterating and distorting this art. However, the ferocity of these campaigns has been able to prove its presence on the global stage by preserving its traditions and authenticity. The importance of the research lies in its emphasis on the specificity of African art through its unique philosophy and symbols. The research began by shedding light on one of the John Muafangejo's African artistic styles, which he presented during his life in Africa. As the research subsequently expanded, the artistic characteristics and attributes on which the artist was based were shown in the execution of his innate style in painting people with naive features. It also reviewed some of the artist's attempts to confirm the authenticity and uniqueness of this art by showing some points of similarity and difference in terms of themes, methods and ideas between artist John Muafangejo and his contemporaries of Africans such as: Paulos Mchunu, Albert Ndlovu, Caiphas Nxumalo.

Keywords: African Art – Printmaking – Storytelling.

المقدمة:

تتالت الثقافات والحضارات المصحوبة بالعادات والتقاليد على مر عصور، لتشكل بصمة التعريف لكل بلد على حدة ونقطة انطلاق للأجيال القادمة ليكونوا على إدراك تام بالحياة السابقة. وفهم سر وجودهم من أجدادهم القدامى وبذل قصارى جهدهم في الحفاظ على الإرث الثقافي. فزوالها يعني اندثار الهوية الأصيلة. وقد لجأت الشعوب للعديد من الوسائل الأدبية والفنية للتأكيد على أصولهم الحضارية وحمايتها، "فالفن هو مرآة الحضارة وصوت الثقافة، ويعد جزءاً من التطور الإنساني، فلابد من النظر إلى فن كل عصر في إطار البشرية التي نشأ فيها الفن".

وتعدّ القارة الإفريقية إحدى أهم القارات الحاضنة للموروث الشعبي والجمال الحسي الإبداعي، معتمدة على البيئة المحيطة كمصدر أساسي للإلهام والتشكيل الفني، ليتتبعها الفكر البدائي المتكئ على الأوهام والأساطير وصولاً إلى العقائد الدينية والحياة الاجتماعية. وقد بلغ الفن الإفريقي ذروة عالية من التعبير الفني والمهارة التشكيلية خصوصاً في استخدامه للألوان الزاهية والقوة الخطية والخيال الحالم.

وتعدى الفن الإفريقي بصفته فناً يخدم أغراضاً محددة، لكونه فناً وظيفياً، ليصبح لغة التواصل البصري في نقل المفاهيم المتعلقة بالقضايا الاجتماعية والدينية والسياسية بواسطة الفنون التشكيلية من نحت وعمارة وطباعة.

وبالرغم من فترة الجمود التي طالت القارة وتأخرها عن التطور والنمو الفكري، بسبب الصعوبات والتحديات الناجمة عن الصراعات الأهلية والقبيلة وغزوات الاستعمار الأوروبي الأمريكي التي تسببت في تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية، ومحاولة تبديل منهجهم الفكري عبر تقسيمات عنصرية، حيث إن التسهيلات والامتيازات عموماً تعطى للبيض على حساب السود، إلى جانب التهجير القسري. مما دفع الكثير من الرواد المفكرين الأفارقة للنهوض بمستقبلٍ أفضل يضج بالفكر والتطور.

أهداف البحث:

- التعريف بالأسلوب القصصي عند الفنان الأفريقي جون مفانجيجو .
- تحليل بعض الأعمال الفنية لجون مفانجيجو John Muafangejo (1943–1987) بما يتناسب مع موضوعاته المتنوعة التي تعكس الجمال الإفريقي.
- التركيز على الأسلوب الرمزي الذي اتبعه الفنان مفانجيجو في إيصال أفكاره وآرائه ونظرته الاجتماعية والسياسية، وهل خرج عن النمط الإفريقي التقليدي في الفن لخدمة إيصال الفكرة.
- تسليط الضوء على الأسلوب الهجين للفنان جون مفانجيجو الذي يجمع بين الحداثة الغربية والموروث الإفريقي الأصيل.

التمهيد:

في مجتمع بدائي تقليدي كإفريقيا، كان الاعتماد الرئيسي الدائم في نقل الاحداث هو السرد الشفوي والقصص المأخوذ من الأجداد من خلال نتاج خبراتهم وتجاربهم الحياتية وتحويلها لروايات قصصية، تروي حكايا الأساطير والقصص الدينية حتى أنه من الصعب أن يراودك الشك ولو للحظة أنها قادمة من عالم الخيال، لكنها في الوق نفسه تفتقد للوثائق والمستندات النصية المؤرخة التي تثبت حقيقة الاحداث حينها.

فتناقل الكلام شفهياً كان أساس الثقافة في العصور الأولى، فكما قال المفكر مالي (Mali) أمادو همباطي با (Amadou Hampâté Bâ)*: " كلما مات مسن في إفريقيا، فإن مكتبة

* . أمادو همباطي با بالفرنسية: Bâ (Amadou Hampâté) أديبٌ وروائيٌ من دولة مالي، كان أمادو همباطي با(1900–1991م)

كاملة قد أُحرقت"، فاستغلت الدول الأوروبية تلك الثغرة لتنسب كل شيء متعلق بإفريقيا لها وهي الحاكم الشرعي الذي يقرر مصيرها.

في البداية لم يكن الأمر سهلاً على قارة ضخمة مثل إفريقيا أن تعيش قرابة أعوام متفاوتة من الصراعات الداخلية والخارجية، جعلتها بعيدَة عن مواكبة التطور العالمي. تترقب مصيرها المحتوم على أمل الخلاص

من جشع الطغيان والقضاء على آفات الفتنة العنصرية التي خلفوها وراءهم.

إن أهوال الحرب لم تكن سوى فتيل مشتعل فجَّر غضب المثقفين الأفارقة بمن فيهم الفنانين الذين سخروا فنهم لكسر أغلال العبودية وإنتاج الفكر الحُرّ المستقل وإبادة آفات الفتنة.

كان لبناء مراكز الحرف والفنون الدور الأكبر في جمع الفنانين السود تحت راية مناهضة في وجه التمييز العنصري، خصوصاً مركز رووركس درفت(Rorke's Drfit) في جنوب إفريقيا، تأسس عام 1962م في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في كوزولوناتال(Kawzulu Natal)، وله أثر كبير على تطور الفن والحرف فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي، واستمر هذا التأثير في الثمانينات.

وقد تمت الإشارة إلى أن أحد الخصائص المميزة للعمل المنبثق من المصدر الأساسي، التي هي عنصر السرد القوي الموجود لدى الشعوب الأصلية. ويعتبر جون مفانجيجو (John Muafanjego) من أهم الفنانين الحفارين الذين عكسوا الإرث الثقافي لبلادهم وناصر حقوق الإنسان وناهض بالفن ضد التمييز العنصري وسعى لنيل المساواة العرقية.

جون مفانجيجو John Muafangejo:

هو فنان ناميبي ولد في إتوندا لونغادي (Etund Longhadi) في أنغولا (Angola) عام 1943م، بدأ مسيرته الفنية في سن مبكر، عندما كان صبياً صغيراً يرعى ماشية والده. ظهر اهتمامه بالفن حين كان جالساً مع أقرانه يرسمون الأشخاص والحيوانات مثل الثيران والأبقار والماعز بطريقة بدائية مبسطة دون تظليل بواسطة خطوط خارجية عريضة قادمة من تفكير طفولي ساذج، أصبحت فيما بعد توقيعاً فنياً لمفانجيجو.

بعد وفاة والده 1956، اعتنقت والدته بيتلينا هاموبولو (Petelena Hamumplo) المسيحية وفي العام ذاته انتقلت مع ولديها إلى مراكز البعثات الإنجليكانية (Anglican) في إبينجا (Epinga) عبر منطقة أوهانغونيا الحالية (Ohangwena)، ليعاود مفانجيجو الالتحاق بها.

" تلقى مفانجيجو تعليمه في البعثات الإنجيلكانية (Anglican) وهناك تم رصد إمكاناته الفنية من قبل مبشر أمريكي الأب مالوري (Father Mallory) ساهم بمساعدته للدخول بمركز الفنون والحرف التابع للكنيسة اللوثرية في رووركس درفت (Rorke's Drift)* *في كوازولو ناتال جنوب إفريقيا (Kwazulu- Natal) 1967–1969م، وعاد للتدريس في بعثة سانت ماري لأربع سنوات، كان فناناً مقيماً في رووركس درفت 1974م، أقام معرضاً منفرداً في مركز الفن الإفريقي في دربان (Durban) 1975م، وعاد إلى أوفامبو (Ovambo)1977م، واستقر في بلدة كاتوتورا في ويندهوك (Katutura, Windoek) وعمل فيها حتى وفاته سنة 1987م".

أثناء وجوده في مركز الفنون والحرف تعلم تقنيات مختلفة مثل الحفر على الخشب والطباعة الغائرة بالإبرة الجافة والحادة بالإضافة للوحات الزيتية والمائية، لكنه اتخذ الحفر على اللينوليوم (Lino-cuts) منحاه الخاص التي تميّز أعماله الفنية.

دبلوماسياً مالياً وله مؤلفات خيالية وغير خيالية باللغة الفرنسية تعتبر مصادر مهمة وغنية بمعلومات عن غرب أفريقيا التاريخ والدين والأدب والثقافة، والحياة. هو كاتبٌ ومؤرخٌ وعالمُ أنسابٍ وشاعرٌ وراوي حكاياتٍ إفريقية.

* . رووركس درفت: هو مركز للفنون والحرف اليدوية، بما في ذلك الفنون الجميلة والطباعة والفخار والنسيج، ويقع في كوازولو ناتال ، جنوب إفريقيا .تم وصفه بأنه "أشهر مركز للفنون الأصلية في جنوب إفريقيا.

وقد سخر فنه في سبيل معالجة القضايا ذات اهتمام اجتماعي. متأثراً بمعلمه السويدي بيتر جوينيوس (Peter Gowenius) الذي طالما حثَّ طلابه على رواية القصص والأحداث عبر الفن، دون إدلاء إي تصريحات سياسية مباشرة؛ لأن نظام التعليم في البانتو (Bantu) يميل إلى قمع التعبير الذاتي والتفكير الإبداعي آنذاك.

علاوة على ذلك استمد مفانجيجو إلهامه من الفنان أزريا مباثا (Azaria Mbatha) وأشرف على تعليمه كيفية استخدام اللغة المجازية الفنية التي تخاطب الإنسان الإفريقي الأسمر، تحول دون اكتشافها من قبل السلطات البيض.

لم تتوافق أعمال الفنية لمفناجيجو (Mufangejo) وأسلوبه الفطري مع أي اتجاه أو أساليب الرسم الدقيق

وواقعية المنظور، فأعماله المطبوعة تحمل صفة البساطة وبعض الفظاظة، فعلى الرغم من تلقيه التدريب الفني الأكاديمي الرسمي، إلا أنها لم تؤثر أو تفرض نفسها على رؤيته الخاصة أو منهجه المتبع مما خلق عنده الحس التعبيري وطريقة تمثيل فريدة من نوعها واكسبته اعترافاً محلياً ودولياً خاصة في مجال الطباعة البارزة (اللنيوليوم).

اهتم في المقام الأول بالإنسان، بتجاربه وصراعاته الداخلية وإنجازاته وخيباته، حيث تصور أعماله ردود أفعاله تجاه علاقته بالعالم والدين والله بكل ما فيها. وترتكز أيقوناته الفنية على الحياة الريفية الإفريقية والمجتمع، وتحديداً الحوادث والتجارب الشخصية، وانشغاله بالذكريات والماضي المرتبطة بحياته القبلية التقليدية، ومثال على ذلك لوحته التي نفذها عام 1980م (Muafangejo's kraal)، فهي انعكاس للهيكل الاجتماعي الصارم للعشيرة حيث الأماكن المنفصلة يقطن فيها الزوجات والأولاد وحضيرة المواشي والأبقار الشكل رقم (1).

وعند الاطلاع على الأعمال الفنية المطبوعة للفنان موفانجيجو نلاحظ اتخاذه طريقة السرد القصصي بأسلوب فني تبسيطي ثنائي الأبعاد خالٍ من أي عمق وهو ما يذكرنا بالمخطوطات المزخرفة في العصور الوسطى والكارولنجية (Carolingian)*، وفي جميع الحالات تقريباً يتم إدراج النصوص المكتوبة في التكوين لتخبرك بأدق التفاصيل الحياتية المهملة، كما لو أنك تعيش مع أصحابها الحدث وبالأحاسيس النقية ذاتها والمشبعة بالحب والبساطة الواضحة في الشكل رقم (2) " لدى الشعوب القدماء لحى طويلة" (The Ancient people had a long beard) 1973م، يقول البروفسور آلان كرامب (Alan Crump): غالباً ما يكون تأريخ العمل الفني في النسخة المطبوعة دليلاً على هذه الرحلة، وأن عمل مفانجيجو (Muafangejo) يقدم نظرة ثاقبة عن المشاكل التي يعاني منها كل من يعيش على هذه الأرض"[1].

الشكل رقم (1) " كارل مفانجيجو " للفنان جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم 1980

* الفن الكارولنجي: هو أسلوب كلاسيكي تم إنتاجه في عهد شارلمان (780–900) .حدد حلم شارلمان بإحياء الإمبراطورية الرومانية في الغرب أهدافه السياسية وبرنامجه الفني.

الشكل (2) "لدى الشعوب القدماء لحى طويلة "، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

وتختلف أدوات الفنان في نقل رؤيته التصورية لمتذوقي الفن، فأحياناً ينفذ أعماله عبر توظيف رموز معينة أو شخصيات لا لبس فيها تكون جزءاً من القصة، تحمل في طياتها مفاهيم مبطنة رافقت رموزه وزخارفه التصميمة، ولوحته "القاضي" (Judgeman) 1969م الشكل رقم(3)، "إن لوحة القاضي تأخذ الطابع العلماني البحت،عندما تعمّد مفانجيجو وضعه للعناصر الرمزية مثل ثلاث دوائر وهي الثالوث المقدس، وأعطى الإله عنصر السيادة في التكوين وقاضياً يتعقب الناس ويعدل بينهم، وعند التدقيق في معالم الوجه نرى الصرامة والحزم، إلى جانب إمساكه بكتاب يقلب به للوراء كأنه ينظر إلى أفعال الظالم يوم القيامة".

الشكل (3) "القاضي"، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

ولم يغفل الفنان التقسيمات التعسفية لبلاده والظلم الاجتماعي، فحمل على عاتقه مسؤولية تجاه شعبه وآلامها، لندرك مدى نضوجه ووعيه. قام بصبّ معاناته وألمه العقلي في العمل المطبوع الشكل رقم (4)، حين عاد بذاكرته للحظة عبوره الحدود محاولاً اللحاق بوالدته وأخواته هي ذاتها ما يطلق عليها "الحدود المصطنعة" (Artificial Boundary)، مؤكداً الأسلوب التعسفي الممنهج من قبل النظام الاستعماري، وحدها عبارة السياج في وسط التكوين مكتوبة بدقة ووضوح "الحدود المصطنعة" تثبت الترسيم القسري لحدود منطقته الأصلية لشعب أوفامبو (Ovambo)، بُنيت هذه الحدود في أواخر القرن التاسع عشر من مخلفات الاستعمار الأوروبي لناميبيا (Nambia) جنوب غربي إفريقيا.

"ليعيد مفانجيجو إضفاء الدلالات المجازية كالفيل الضخم والبندقية بجانبه الذي يشير الى الانتشار الكبير للجيش جنوب الإفريقي بمحاذاة حدود ناميبيا وأنغولا، مع وجود قاعدة جوية بها مروحية وطائرات نفاثة في الزاوية اليسرى السفلية للوحة، والفيل

صغير الحجم أوحى به الفنان بشعب سوابو (Swapo) التي لا تعطي أي انتباه للجيش الجنوب الإفريقي.

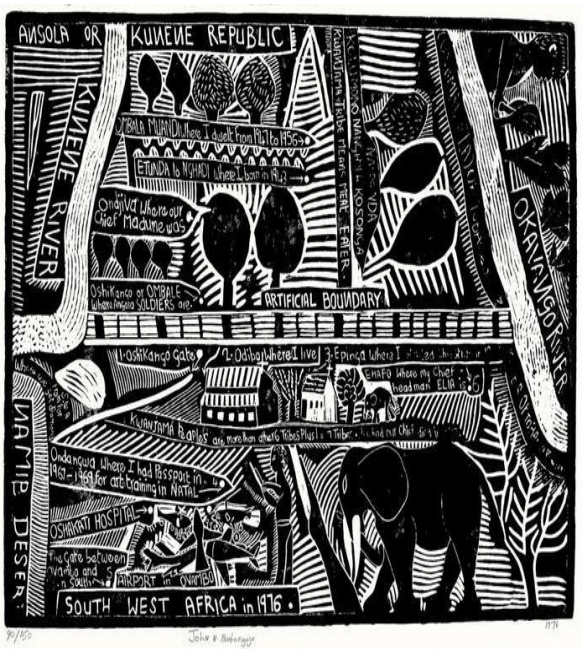

الشكل (4) "جمهورية أنغولا وكونيني" جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

كذلك سلط الضوء على التناقض الحياة الحضرية والريفية من حيث طريقة ارتداء الملابس، وقد جمع بين السود والبيض في تكوين واحد وهم يشربون معاً، في شكل رقم (5) تحت عنوان "نحن نشرب بيرة أوفامبو (We are drinking Ovamvo Bier at Elialimas)، غايته الدفاع عن المساواة بين الأعراق فكلاهما يكمل بعضهما البعض في الثقافة والعادات والتقاليد.

كان يطمح إلى مجتمع مثالي خالٍ من النزاعات والحقد والكره، ولن تزول تلك الحواجز بدون انسجام عرقي وتفاهم وتقدير، وسعي كلا الطرفين بين البيض والسود هو المنفذ الوحيد في الوصول لتصالح وبناء وطن متماسك.

رمزية الحجوم:

الشكل (5) " نحن نشرب بيرة أوفامبو في حضيرة إلياكيماس"، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

تعتبر المقاييس والنسب ضمن التكوينات الفنية من العناصر المهمة، وذلك لما لها من دلالات ومعانٍ ذات مغزى، خصوصاً في معظم المجتمعات البدائية. ويتم تجسيد الشخصيات بحجم كبير وضخم مقارنة بغيرها من الشخصيات عندما تكون لها مكانة مهمة ورفيعة، كضخامة الملوك أمام الجنود، وقد اتبع مفانجيجو هذا النمط ومنح رجال الدين والكهنة المقام والسلطة عبر تهويل أحجامهم كما في "كنيسة كاتدرائية سانت جورج ويندهوك 1981م .(Cathedral church of st George. Windhoek)، وأيضاً رؤية العناصر المضخمة وهي تكشف كل ما يحيط بها وهي من الطرق الأخرى الموجودة بشكل أساسي في النحت التقليدي وبعض الفن التصويري الإفريقي المعاصر.

رمزية القصص الإفريقية في الأعمال الفنية المطبوعة

يقول المؤرخ جون فانسينا (Jan Vansina)* في النحت التقليدي:" النسب تتعلق بشرائع النحت المعروفة. على سبيل المثال، يمثل الرأس ثلث إلى ربع الارتفاع الإجمالي في العديد من المنحوتات الإفريقية من الصحراء. بينما النسب من واحد لسبع أو من واحد لثمانية في الفن الأوروبي" .

إن معظم المؤرخين اعتبروا في بداية الأمر أن عدم تماثل النسب سِمة طفولية بدائية مميزة لغير المتعلمين من الفنانين شبيهة بالأطفال، وباعتقادهم أن الفنان يتعمد إهمال المفهوم العام للعمل الفني من أجل تفاصيله التافهة، والاكتفاء فقط برمزية الرأس. لكن توظيف مفانجيجو للرؤوس الكبيرة لا تعمل كنمط مفاهيمي فقط، بل كطريقة تخدم التكوين.

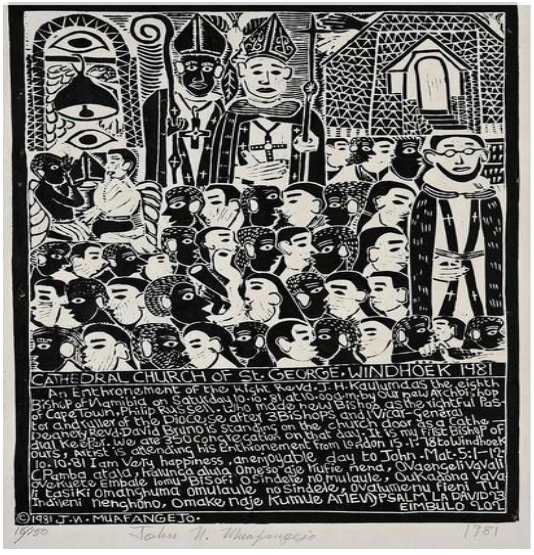

الشكل (6) كاتدرائية سانت جورج ويندهوك 1981م، حون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

استخدام الثنائيات المتعاكسة:

نعيم، معروف

الشكل (7) إنهما

تتصافحان لأنهما تشتاقان لبعضهما، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

ربما تكون رمزية اللون الواحد من أكثر الفئات استخداماً باعتبارها عنصراً مهماً في الفن التشكيلي وخصوصاً تقانات الطباعة.

إن مفهوم الأبيض والأسود كرمزين متضادين كلياً للإيجابي والسلبي سواء في وقت واحد أو بشكل متتالٍ أو متناوب، وهذا التضاد شائع جداً مثل جميع الصيغ المزدوجة في الرمزية.

وقد فضَّل مفانجيجو (Muafangejo) استعمال اللون الأسود في عمله لخلق تباينات وتناغم وإضفاء عنصر موحد داخل التكوين. هناك حالات يأخذ فيها اللون معنى رمزي غير مقصود، حيث صاغ الفنان لوحة رقم (7) "إنهما تتصافحان لأنهم تشتاقان لبعضهما" (They are shaking their hands because they are longing each other)، ويجسد العمل أنثى سوداء على اليمين وأنثى بيضاء على اليسار تتصافحان، وبالتالي من الممكن أن تتضمن رمزية اللون معنى عالمياً للمصالحة بين الأعراق المختلفة في العالم.

ولم يقف تناول المفاهيم الإيجابية والسلبية عند استخدام اللون الأبيض والأسود، بل تعدّى ذلك ليشمل الأشكال أيضاً، أي

* . جون فانسينا (1929–2017) م: مؤرخاً وعالماً أنثروبولوجياً بلجيكياً يُعتبر مرجعاً في تاريخ وسط إفريقيا، وخاصة ما يعرف الآن بجمهورية الكونغو الديمقراطية والرواندا والبوروندي. لقد كان مبتكراً رئيسياً في المنهجية التاريخية للتاريخ الشفوي.

العلاقات القائمة بين التكوين والحيز المكاني التي ينفذها في مطبوعاته، ولا يجب إهمالها، فملء الفراغ يُنشئ تبايناً لونياً إلى جانب التعزيز بالعنصر الزخرفي لعمله.

إن أسلوب الثنائيات المتعاكسة عند مفانجيجو (Mufangejo) ميزه عن أقرانه الفنانين الأفارقة في منطقته، حيث نسج حلقة وصل ما بين التقليدي والمعاصر، ونلاحظ تأثيرات الحداثة والاستفادة من التكنولوجيا الغربية في ابتكار الفن الإفريقي الحديث.

الأسلوب القصصي:

عند التمعن في أعمال الفنانين التي تتضمن أسلوب السرد القصصي نلاحظ مدى الوعي بالإمكانيات الإبداعية المتنوعة للطباعة البارزة أو الغائرة على حد سواء عندما يتم التعامل مع الموضوعات ذاتها ولكن برؤية مختلفة.

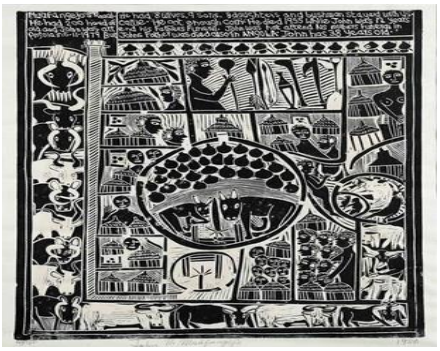

الشكل (8)

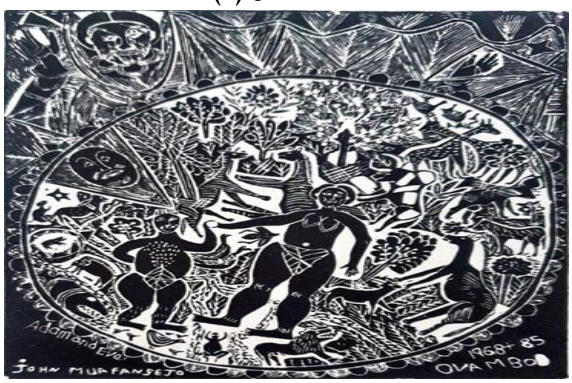

الشكل رقم (9)،"آدم وحواء"، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم

والغاية تكمن في قدرة الفنان على تصوير الحدث والتعاطي مع أدواته بسهولة لإيصال الفكرة والمعلومة بطريقة سلسة والتي جاءت قصصية في بعض أعمال الفنانين في إفريقيا جمعتهم البيئة الواحدة، فالقصص السردية الإفريقية لم تكن حكراً على مفانجيجو فقط، فقد اتبعها معظم فناني إفريقيا.

1. الموضوعات الدينية ما بين جون مفانجيجو وبولوس مكونو:

تحتوي مواضيع دينية واجتماعية باعتماد على الرمزية البصرية، واستخدمه للرموز ليست سوى الكشف عن العقل الباطن الإفريقي. وأول عمل فني مطبوع مستمد من الكتاب المقدس لوحة "آدم وحواء" (Adam and Eve) نفذها سنة 1968 وأعاد صياغتها 1985 الشكل رقم (9)، "تفسير حي للإغواء في جنة عدن، تعمَّد تصوير آدم صغير الحجم أمام حواء؛ لأنه شعر ببراءته في مواجهة الخداع والكذب، والجنة اتخذت شكلاً دائرياً توحي بالكمال، بينما الخالق موجود في الزاوية العليا لليسار ويداه ممدودتان على كلا جانبي الدائرة، والشيطان يرقد في وتد مثلث، ورأس وتد يتماشى مع تفاحة، وهو كناية عن التفرقة والخصام وخلق الفتن، والمثير للاهتمام خلق الفنان للاختلافات في معالم الوجه بين الإله والشيطان، فالإله صارم ولديه نظرة اهتمام واضحة وتسريحة شعر دائرية تذكرنا بتصفيفات الشعر لقبيلة كوانياما مع وجود ثلاث دوائر حول رقبته تدل على القداسة، بينما وجه الشيطان يشبه قناع ليخفي نواياه الحقيقية".

وفي العام ذاته 1968م سارع الفنان باولوس مكيونو (Paulos Mchunu1932) م إلى نسج خيوط لوحة سفر التكوين من منظوره الشخصي، يتوضع المسيح والإله وحمامة الروح المقدسة في نصف دائرة من الغيوم المظفرة الدقيقة بيضاء اللون لتأخذ انتباه المتلقي. "يبدو أن القصة تشمل عناصر من الدينونة الأخيرة أيضاً، حيث يوجد الشيطان مبتسماً وسط ألسنة اللهب على اليمين بمحاذاة اليد اليسرى للخالق، مرسوماً بخطوط رفيعة ولينة بالكاد يمكن رؤيته، بالموازنة مع الجانب الآخر من الكنيسة الصغيرة، وهناك شخصية صغيرة تحملها عالياً. ويسهب ملاك برفع الشخصين إلى، من الواضح أنهما آدم

وحواء مُنحا فرصة لتحقيق التوبة، على الرغم من اقترافهما المعصية، لأن الملاك الصارم يخرجهما من الجنة إلى الجانب الآخر الشكل رقم (10)".

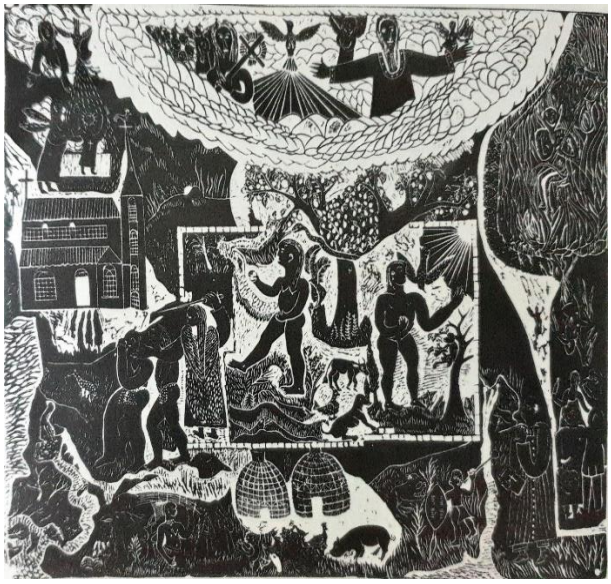

الشكل (10) أدم وحواء، بولوس مكونو، طباعة لينوليوم.

وفي الجزء السفلي من اللوحة، يُعاد التصوير المثالي للحياة الريفية في زولولاند(Zululand) في طبعة أخرى تحمل عنوان "الله وشعبه (God and His People) وهي أكثر ترحيباً من الأرض البرية المنتظرة لأدم وحواء في النسخة التوراتية.

يبدو أن مكونو(Mchunu) لديه نظرة متفائلة للسخاء الإلهي، "تخيل مكونو(Mchunu) الأب السماوي جالساً على كرسي بذراعين مريحتين ومنجدة، يوزع بسخاء الهدايا للبشرية، من طعام وملابس يومية وأثواب الكنيسة وسيارة أمريكية، وكيس نقود مكتوب عليه R800 الشكل رقم (11)". وبدلاً من اتباع منهج واحد في حفره لقطعة اللينوليوم، قام بتركيب عناصر مختلفة لإغناء التنوع البصري، عبر اعتماده التباين اللوني مثل جعل أجساد أدم وحواء سوداء على أرضية بيضاء، بينما رسم الشيطان بخطوط بيضاء على خلفية سوداء، وإكليل الغيوم عبارة عن خطوط سوداء مع بقاء أرضية بيضاء محدداً بذلك ملامح الجنة.

الشكل (11) الله وشعبه، باولوس مكونو، طباعة لينوليوم.

وإذا عدنا إلى العمل الفني الذي قدمه جون مفانجيجو (John Muafanjego) عن كيفية عطاء لله لشعبه، "من وجهة نظره يرى الحب والتسامح بالعطاء الروحي والإيمان وليس المادي كما عند مكونو(Mchunu) ، فالعاطفة والإنسانية والمعاملة الصادقة أهم وأعمق من حاجات الإنسان المادية القابلة للزوال، وليثبت كلامه جسّد الله على هيئة أب ضخم ذي لحية ترمز لحكمته، يضم أبناءه ويمدهم بالسكينة والطمأنينة،الشكل رقم (12)، توحي بمدى نقاوة وطيبة الفنان في الفكر، لأنه يعكس ما بداخله للعالم".

وتبني مفانجيجو(Muafanjego) للمسيحية واعتناقه لها، لم يأتِ عن عبث، فقد بدا ظاهراً تأثير الفكر الديني على حياته وطريقة تفكيره من خلال لوحته المتعلقة بالموضوع الديني.

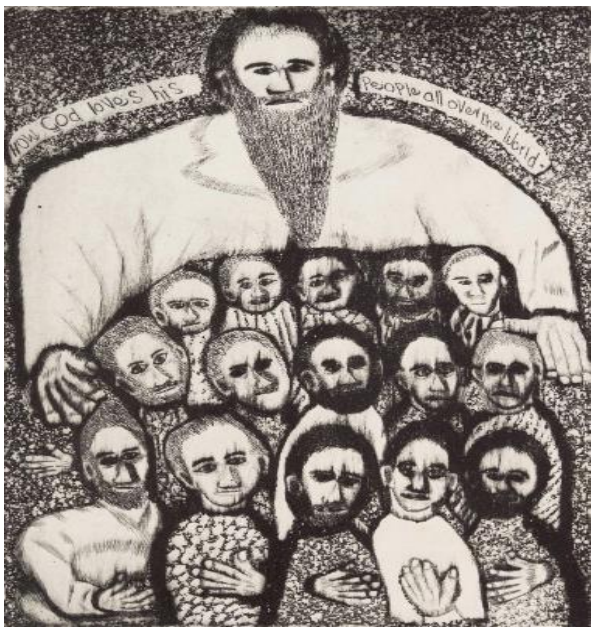

الشكل (12) كيف يحب الله خلقه، جون مفانجيجو، طباعة معدنية بالماء القوي.

2.الطروحات السياسية في الأعمال الفنية:

تعدت المواضيع الدينية التي تم تناولها لتأخذ القضايا السياسية الحيز الأكبر من الاهتمام، كيف لا؟! والأحداث المشؤومة رافقت الفنانين بكل تفاصيل حياتهم، من طغاة وحروب ودمار لينتهي الأمر بزرع بذور الفتنة والفصل العنصري. تلك الفترة حركت مشاعر الفنانين لعكس دونية الثقافة التي تغذيها غطرسة الاستعمار لإبطال وتجاهل التاريخ الأفريقي.

فألبرت ندلوفو(Albert Ndlovu) احتفل بتولي زعيم زولو شاكا (Shaka) السيادة، فبالنسبة له المعركة الحقيقية للانتصار والنهوض بزولو(Zulu) هو اختيار قائد عظيم. يقف شاكا بفخر مع درعٍ ورمح في الجزء العلوي من الصورة. وقوته لا جدال فيها لأنه دفع أعداءه إلى النيران، وفي أسفل اللوحة جثث مشوهة بجروح مروعة مرمية على الأرض. الشكل رقم (13).

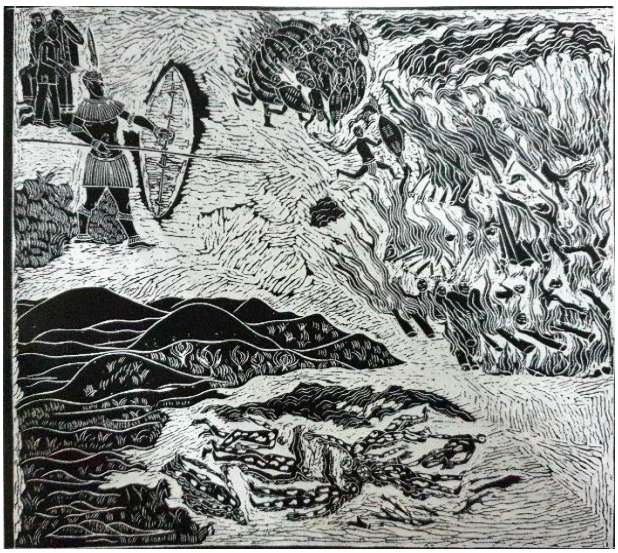

الشكل (13) شاكا، ألبرت ندلوفو، طباعة لينوليوم.

أما مفانجيجو (Muafanjego) "فبدأ بتسجيل الأحداث السياسية في أعماله المطبوعة دون ذكر سبب المعركة كـ "معركة رورکس درفت (The Battle of Rorke's Drift 1969)، مؤكداً قوة شعب زولو(Zulu) من خلال الأنماط الخطية الديناميكية التي تنشط وتحرك الفراغات بينهم. على الرغم من وجود بعض الشخصيات السوداء الأفقية في طبعته مصرحاً بتراكم الجثث. من ناحية أخرى، الجنود البيض الذين يحملون البنادق ظهروا بشكل خط ثابت رتيب ضمن مستطيل يشبه القبر أكثر من كونه حُصناً، مطوقين بوفد من كل الاتجاهات، وليس هناك أي منفذ لهم فلا مجال للهروب". فلا بد من أثبات هويته الإفريقية العريقة، الشكل رقم (14).

الشكل (14) معركة روركس درفت 1969، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

وخلال فترة الاستقلال زولو، تمت الدعوة لإحياء حفل زولو من قبل الفنان بولوس مكونو(Paulos Mchunu) ، مستنداً على الإيقاع الحركي للخط العريض، متجاهلاً إضفاء المساحات اللونية للعمل الفني تماماً، وللوهلة الأولى تشعرك بالضياع والتشتت، لكن بالتمحيص والتدقيق، "يمكنك مشاهدة البطل ربما يكون الملك الحاكم، واقفاً على قاعدة خشبية فوق الحشد من الناس يرتدون لباس زولو، والزي الغربي الذي يرتديه بالنسبة لهم لباساً عادياً للحكام الأفارقة في المناسبات الرسمية.

والأشرطة المتقاطعة فوق سترته هي عصبات المعروفة لدى رجال زولو. وهو ليس المثال الوحيد للعناصر التي تشير إلى الإحساس بالهوية بين ثقافتين، فالدرع جلد الماشية المميز الذي يحمله البطل تمثل إحدى دلائل الأخرى، والكتاب الموجود في يديه اليمنى تشير إلى التعلم الغربي"؛ لأنه من المعروف افتقار إفريقيا لوسائل التعليم آنذاك.

على الرغم من المكانة الرسمية لبطل مكونو كشخصية مهمة وثابتة وسط المحتفلين النشطين، لابد من تزايد المخاوف وعدم الراحة من احتلال موقع بين ثقافة زولو والاتجاهات الأوروبية بسبب اختلاف لباسه وسلوكه المتناقض.

الشكل (15) نهضة زولو، باولوس مكونو، طباعة لينوليوم.

3. تكوين العمل الفني بحسب رؤية الفنان:

المتلقي في فهم الواقع، فمثلاً الفنان كايفس نكسمالو (Caiphas Nxumalo) أعاد تشكيل قصة شمبي (Shame) بتقنية الطباعة البارزة (اللينويوم)، معلناً عن إنجازاته، حيث تدور أحداث القصة عن حالة من العصيان الديني وتشكل تهديداً واضحاً لمعتقداتهم، إحداها الكنسية الناصرة المعمدانية أو أما نازاريثا (Ama Nazaretha)، مؤسسها إشعباء جليل شمبي عام 1911م، وهي تتألف من معتقدات وتقاليد موروثة قبل المسيحية وعقائد العهد القديم، وشُبه الشمبي بموسى حينها"، قسم نكسمالو (Nxumalo) لوحته لعدة مقاطع متناظرة بأشكال مختلفة، بمثابة قصص متنوعة في قطعة واحدة، يظُهر التكوين مثلثاً ضخماً في منتصف اللوحة يشير إليه بالجبل الهرمي المقدس الذي صعده شمبي(Shampe) واتباعه وفقاً للقصة الشعبية، والرأس المتمركز فوق قمة الهرم يقال أنه نكلونكولو (Nkulunkulu) ، وهو الإله العظيم غير المرئي في المعتقدات ما قبل المسيحية المحلية

"والجانب الأيمن تقام مراسم الاحتفال مع حشود تحت الشجرة، ونصف دائرة في أعلى الإطار صور للنبي مكرر مرتين على ظهر الخيل محاط بالطيور لعله وصل للجنة".

الشكل (16) شمبي، كايفس نكسمالو، طباعة لينوليوم.

بينما أعمال مفانجيجو (Muafangejo) تحرص على التنوع والاختلاف في تقسيم العمل الفني، فكل عمل له نكهته الخاصة بتقسيم مستوى اللوحة منها قُسمت إلى ثلاث مقصورات مستقلة لتحتوي حدثاً معيناً منفصلاً عن الأخر لكنها مكملة له من خلال إيحاءات البصرية، وغيرها كان عبارة عن خمس أيقونات، لكن بشكل عام في أغلب أعماله الأخرى سيطرت النصوص الكتابية عليها، فخصص قرابة ربع للنص المرافق مقابل ثلاث أرباع لشخصيات قصته كما في الشكل رقم (17)، وأحياناً يكون النص بمثابة شريط واحد فاصل بين الأحداث المروية. هذا المنهج المتبع تلخص عبقرية الفنان لجذب الانتباه المشاهد دون الشعور بالضجر.

الشكل (17) توج المطران الجديد ديزموند توتو، جون مفانجيجو، طباعة لينوليوم.

وأخيراً رغم تنوع أساليب ومواضيع الفنانين في إفريقيا بقي للفن الإفريقي طابعه الخاص الذي ميزه عن باقي فنون أوروبا وآسيا، إن الفنان مفانجيجو (Muafangejo) نموذج عبرَّ بأعماله الفنية المطبوعة عن ميزات الأسلوب والتشكيل في الفن الإفريقي.

نتائج البحث:

- اتخذ الفنان مفانجيجو طريقة السرد القصصي وجسدها بأسلوب تبسيطي مسطح ثنائي الأبعاد خالٍ من أي عمق في محاكاة واضحة للمخطوطات الأوروبية المزخرفة العائدة للعصور الوسطى.
- اعتمد الفنان مفانجيجو تضخيم العناصر الإنسانية المهمة في أعماله ومنحها أشكالاً نُصبيَة تشابه أساليب النحت الإفريقي التقليدي.
- إن موهبة مفانجيجو تكمن في قدرته على تجسيد الأحداث اليومية وسردها بسلاسة عبر استخدامه لتقانات غربية وأدوات بسيطة وسهلة.
- إن الاختلاف في ملامح الأوجه في الأعمال المطبوعة مفانجيجو كان مُتعمداً بهدف تجسيد مفهوم التباين والتضاد بين قيمة وحضور العناصر البشرية.
- لقد أثر الفكر الديني المسيحي على حياة الفنان مفانجيجو وطريقة تفكيره وهو ما ظهر جلياً من خلال تجسيد صورة الإله بشكل مضخم، إضافة لإرفاق بعض القصص والنصوص الدينية.
- إن الأحداث المشؤومة من طغيان وحروب وتهجير قد ألهبت مشاعر مفانجيجو ودفعته ليظهر دونية ثقافة المستعمر والحكومة العميلة وذلك عبر مطبوعات عكست استكبار المستعمر وتصدي الشعب له.

التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل(501100020595).

References:

1. الجـوهري، أسـامة. (2003). الفـن الإفريقـي. ط: 1، مصـر: القاهرة. الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب. ص: 207.
2. شقلم، عبد الرحم. (1982). إفريقيا قادمة: دراسة في الفن والأدب والتاريخ الإفريقي. ط:1، ليبيا: بنغازي. اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام. ص: 144.
3. Hobbs, Philippa. And Rankin, Elizabeth. (2003). Rorke's Drift: Empowering Prints: Twenty years of Printmaking in South Africa. South Africa: Cape Town. First Published Double storey Books, a Juta company- Wetton. P: 242.
4. Cole, Collin. (1993). John N Muafangejo(1943-1987): A perspective on his Lino-cuts with special reference to the University of Bophuthatswana Print Collection. Degree of Master. Fine Arts. Rhodes University. Grahamstown: South Africa. P: 121.
5. Levinson, Orde. (1993). The African Dream: Vision of love and sorrow: the art of john muafangejo. United States: New York. Thames and Hudson 500 Fith Avonue, New York 10110. P: 120.
6. Mtota, Ervast. (2015). Socio-Political and cultural identity in the visual arts in Namibia. A degree of master. Visual arts. The university of Namibia. Windhoek: Namibia. P: 165.
7. Macdonald, James. (2016). Tracing the passion of Black Christ. A degree for Master of Arts. Fine Art. University of Cape Town. Cape Town: South Africa. P: 169.
8. Dr. Hobbs, Phillippa. (2021). Art is different from life': Doctrine and agency in Thokozile Philda Majozi's insights and imagery. Pharos Journal of Theology. Vol: 102. 1-17. Johannesburg: South Africa. University of Johannesburg.